ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي
فذكر مثله مرتين وفي اخره اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال القرطبي في الحديث
دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب لان التوبة الاولى طاعة قد
انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثاني الى توبة اخرى
مستانفة والعود الى الذنب وان كان اقبح من ابتدايه لانه انضاف
الى الذنب نقض التوبة فالعود الى التوبة احسن منها لانه انضاف اليها
ملازمة الالحاح بباب الكريم وانه لا غافر للذنب سواه وقوله في اخر الحديث
اعمل ما شئت امر معناه الاكرام في احد الاقوال فيكون من باب قوله ادخلوها
بسلام واخر الكلام خبر عن حال المخاطب بانه مغفور له ما سلف من ذنبه ومحفوظ
ان شا الله فيما يستقبل من شانه ودلت الاية والحديث على عظيم فايدة الاعتراف
بالذنب والاستغفار منه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه
ثم تاب الى الله تاب الله عليه اخرجاه في الصحيحين انتهى وهذه الاية تقدم
الكلام على جمل مما يتعلق بها في باب ما يقوله ويفعله من تكلم بكلام قبيح قوله
ومن يعمل سوا يسو به غيره كما وقع ممن رمى طعمة اليهودي بسرقة الدرع او يظلم
نفسه بعمل ذنب قاصر عليه ثم يستغفر الله منه اي يتب يجد الله غفورا رحيما
به وفي قوله يجد الله الخ مبالغة في الغفران والرحمة كان المغفرة والرحمة معدان
لطالبهما مهيان له متى طلبهما وجدهما وجا جواب الشرط مصرحا فيه باسم الله ولم يات
بالضمير لما في لفظ الله من الجلالة والتعظيم ما ليس في الضمير ولما تقدم شيان عمل
السو وظلم النفس قابلهما بوصفين هما المغفرة لعامل السو والرحمة لمن ظلم نفسه
كذا في النهر قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي استغفروه من الشرك
ثم توبوا ارجعوا اليه بالطاعة وقيل استغفروه من سوالف الذنوب وتوبوا اليه
من المستانف متى وقعت منكم ويحتمل ان يكون استغفروه من الصغاير وتوبوا
اليه من الكباير انتهى وقيل العطف تفسيري فالاستغفار هو التوبة والتوبة
هي الاستغفار قال بعض العلما الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين قوله
يمتعكم متاعا حسنا ثمرة الاستغفار والتوبة اي يمتعكم بالمنافع في الدنيا من سعة
الرزق ورغد العيش ولا يستاصلكم بالعذاب كما فعل بمن قبلكم المتاع الحسن
ترك الخلق والاقبال على الحق وقيل هو القناعة بالموجود وترك الحزن على
المفقود وقوله الى اجل مسمى قيل هو الموت وقيل القيامة وقيل دخول الجنة
والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه وامر مخوف مما يكون في القبر وغيره
من اهوال يوم القيامة وكربها والاول اظهر لقوله في الاية الاخرى ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الاية وهذا منقطع بالموت وهو الاجل المسمى
قوله ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي عمل عمله من الاعمال
الصالحة جزا عمله وغير ذلك قوله استغفروا ربكم اي من الشرك قوله

يرسل

يرسل السماء اي المطر وكانوا قد منعوه وقوله مدرارا اي كثير الدر متتابعا يتلو بعضه
بعضا قوله ويزدكم عطف على يرسل وقوله قوة الى قوتكم قال مجاهد
شدة الى شدتكم قال الضحاك خصبا الى خصبكم وقال علي بن عيسى عزا الى
عزكم قيل ان الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين او اعقم الارحام ثلاث سنين
فلم يولد لهم ولد فقال هود ان امنتم احيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد
فتلك القوة وقال الزجاج المعنى يزدكم قوة في النعم قوله استقصاؤها
اي طلب اقصاها والمراد انه يعسر حصرها قوله ورويناه في صحيح مسلم قال
في السلاح ورواه ابو داود والنسائي وليس للاغر في الكتب الستة سوى هذا
الحديث انتهى زاد في الجامع الصغير ورواه احمد قوله عن الاغر المزني قال
العامري في الرياض انه ليغان على قلبي ان فيه شايبة والظرف نايب الفاعل اي
يحصل له غين وقوله واني اي حينيذ لاستغفر الله اي اطلب منه مغفرة لايقة بهذا
المقام وهذا من علي كماله صلى الله عليه وسلم ان ذلك الغين الذي كان يحصل له
صلى الله عليه وسلم ليس المراد به ظاهره وحقيقته من الغيم الرقيق ولذا
كثر الاختلاف فيه على اراء كثيرة منها ليطبق اطباق الغين وهو الغيم ومنها
ما قال عياض ان المراد به فترات وغفلات عن الذكر الذي شانه الدوام عليه
فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه ومنها انه همه صلى الله عليه
وسلم بسبب امته وما اطلع عليه من احوالهم بعده فيستغفر لهم ومنها انه
السكينة التي تغشى قلبه قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله فالاستغفار
شكر لها قال المحاسبي خوف المقربين اجلال واعظام ومنها انه من المتشابه
الذي لا يخاض في معناه وقد سيل عنه الاصمعي فقال قلب من هذا فقيل له
قلب النبي صلى الله عليه وسلم فامتنع من الكلام عليه تادبا معه صلى الله عليه
وسلم واجلالا لقلبه الذي جعله الله محل نظره ومنزل وحيه فهو مشرب سد عن
اهل اللسان موارده وفتح لارباب السلوك مسالكه ولذوي العرفان مصادره
فاحق من يعبر عنه مشايخ الطريق الجامعون بين الحقيقة والشريعة لان الحق
طهر اسرارهم ونور بصايرهم بخلاف غيرهم وممن تكلم على ذلك الشيخ عبد القادر
الجيلاني فقال انه صلى الله عليه وسلم لم يزل في الترقيات في الفيوض
الالهية والرتب العطايية فكلما ارتقى لرتبة ونظر ما قبلها عده كالذنب
فاستغفر منه وبمعناه قول الشيخ القطب ابي الحسن الشاذلي انه غين انوار
لا غين اغيار وبيانه انه صلى الله عليه وسلم لم يزل انوار الشهود ومعارج
القرب تتوالى على قلبه المطهر المبرا من كل وصمة نقص او غفلة او تاثر بغير او سوى
فيترقى من مقام هو فيه الى اعلا منه وهكذا ومن المعلوم ان المترقي الى مقام
اعلى ينظر الى ذلك المترقى عنه وما فيه من فوات الخصوصية التي في الاعلى
الذي ارتقى اليه فيعده حينيذ مما يستغفر منه اي يطلب ستره عنه بدوام

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1